الفصل الثاني

الإيثار والمساندة الاجتماعية

obeikandl.com

يمكن ملاحظة بعض الأفراد والجماعات والمجتمعات تتميز بسيطرة أو شيوع قيم وتقاليد وسلوك اجتماعي يميل إلى السعي لتحقيق وإشباع رغباتهم الخاصة دون الاهتمام والاكتراث برغبات وحاجات الآخرين والتعاون معهم، وأن كان على حساب تعاسة وبؤس الآخرين. في حين يمكن أن ترى على العكس من ذلك وجود أفراد وجماعات ومجتمعات يشيع فيها عادات وقيم وسلوكيات تهدف بشكل طوعي إلى تحقيق منفعة الآخرين ومساندتهم وإسعادهم بغض النظر عن ما يعود عليهم ذلك من مكاسب شخصية. ولكن يتبادر إلى الذهن هنا عدد من الأسئلة: هل جاءت القيم مثل قيمتي الإيثار والمساندة الاجتماعية أو نقيضهما عفوياً؟ وهل يترك شيوعهما أو انعدامهما أو ضعفهما آثاراً على السلوك الاجتماعي والسياسي للأفراد والجماعات والمجتمعات؟ بمعنى آخر هل يجلبا السعادة والاستقرار الاجتماعي والسياسي أم العكس؟ وما هو وضع هذه القيمتين في المجتمعات العربية؟ ومن أجل دراسة هاتين القيمتين والإجابة على الأسئلة ذات الصلة جاء هذا الفصل.

obeikandl.com

الإيثار والمساندة الاجتماعية

يمكن ملاحظة بعض الأفراد والجماعات والمجتمعات تتميز بسيطرة أو شيوع قيم وتقاليد وسلوك اجتماعي يميل إلى السعي لتحقيق وإشباع رغباتهم الخاصة دون الاهتمام والاكتراث برغبات وحاجات الآخرين والتعاون معهم، وأن كان على حساب تعاسة وبؤس الآخرين. في حين يمكن أن ترى على العكس من ذلك وجود أفراد وجماعات ومجتمعات يشيع فيها عادات وقيم وسلوكيات تهدف بشكل طوعي إلى تحقيق منفعة الآخرين ومساندتهم وإسعادهم بغض النظر عن ما يعود عليهم ذلك من مكاسب شخصية. ولكن يتبادر إلى الذهن هنا عدد من الأسئلة: هل جاءت القيم مثل قيمتي الإيثار والمساندة الاجتماعية أو نقيضهما عفوياً؟ وهل يترك شيوعهما أو انعدامهما أو ضعفهما آثاراً على السلوك الاجتماعي والسياسي للأفراد والجماعات والمجتمعات؟ بمعنى آخر هل يجلبا السعادة والاستقرار الاجتماعي والسياسي أم العكس؟ وما هو وضع هذه القيمتين في المجتمعات العربية؟ ومن أجل دراسة هاتين القيمتين والإجابة على الأسئلة ذات الصلة جاء هذا الفصل.

obeikandl.com

المبحث الأول

قيمة الإيثار

تفترض دراستنا أن قيمة الإيثار يمكن أن تُعد من بين القيم الاجتماعية الجديرة بالدراسة ذلك أن وجودها أو ضعفها أو انعدامها من المحتمل جدا أن يترك بالنتيجة تأثيراً في السلوك الاجتماعي والسياسي للأفراد والجماعات والمجتمعات. من هنا جاءت دراستنا للبحث في هذه القيمة مبتدأين بالتعريف بها أولا. ثم دراستها في المجتمعات العربية. والبحث عن أصلها فيما بعد. وتشخيص آثارها السياسية أخيراً.

المطلب الأول

تعريف قيمة الإيثار (Selfless)

يُعرف الإيثار على أنه السلوك الذي يهدف لتحقيق منفعة للآخرين دون الاهتمام بما سيعود على الشخص من مكاسب خارجية. كما عرف على أنه الرغبة الداخلية لدى الشخص لإسعاد الآخرين وزيادة رفاهيتهم كغاية في حد ذاتها. وقد يمكن القول أن الإيثار يقوم على ثلاثة مقومات أساسية:

1- غياب المكافأة الخارجية أياً كان نوعها. وذلك بأن يكون الفعل الإيثاري غاية في حد ذاته ولا يكون لتحقيق غرض شخصي.

2- القصد والنية وراء إصدار السلوك. فهو سلوك تطوعي إرادي يقوم به صاحبه دون أي تهديد أو ضغط خارجي كما يتضمن حرية الشخص في اتخاذ قراره بتقديم المساعدة أو عدم تقديمها.

3- ينصب الاهتمام في السلوك الإيثاري على إسعاد الآخرين وزيادة رفاهيتهم وتحقيق النفع لهم [1].

فضلا عن ما تقدم. يعني الإيثار ميل الفرد وحرصه على العمل من أجل سعادة الآخرين وذلك دون توقع الحصول على مقابل لذلك. وتتضح قيمة الإيثار من خلال تبني الفرد وميله لمساعدة المحتاجين بأي صورة من صور المساعدة [2]. وهناك صياغتان نظريتان أساسيتان للإيثار: الأولى تقوم على أساس نظرية التعاطف. وطبقا لهذه النظرية. نجد أن المساعدة الإيثارية

---

[1] د. معتز سيد عبد الله, "الإيثار والثقة والمساندة الاجتماعية كعوامل أساسية في دافعية الأفراد للانضمام للجماعة", مجلة علم النفس, العدد (57), يناير- فبراير- مارس, 2001, ص 99- 100.

[2] د. سمير خطاب, التنشئة السياسية والقيم: مع دراسة ميدانية لطلاب المدارس الثانوية، مصر الجديدة، مصر، أيتراك للنشر والتوزيع، 2004, ص 29.

تحدث عندما يمر القائم بالمساعدة بخبرة التعاطف مع الشخص الآخر الذي يحتاج للمساعدة. بمعنى أن السلوك الإيثاري المحض يمكن أن يحدث بصورة ثابتة بشرط أن يسبقه حالة نفسية نوعية هي اهتمام التعاطف (Empathy concern) مع الشخص الآخر الذي تقدم له المساعدة. ويعرف اهتمام التعاطف على أنه استجابة انفعالية تتميز ببعض المشاعر مثل الشفقة واللطف ورقة القلب والعطف. ويحدث التعاطف من خلال تبني منظور الآخر على التعاقب، حيث يقوم الشخص المؤثر بتبني وجهة نظر الشخص الآخر الذي يعاني متاعب معينة [1]. وقد توصلت بعض الدراسات إلى صحة فرضية التعاطف- الإيثار. ففي ظل ظروف اهتمام التعاطف مع الشخص الآخر التي تترتب على تبني منظوره، نجد أن الأشخاص يساعدون هذا الشخص بشكل يبدو معه أنها محاولة مدفوعة بالإيثار لتحسين ظروفه أو زيادة رفاهيته أكثر من كونها محاولة مدفوعة بدافع أو رغبة أو قيمة الأنانية (Egoistically) لتحسين حالتهم وظروفهم هم. وقدمت دراسة أخرى بيانات تؤكد بأن المساعدة المتزايدة التي تصاحب تبني منظور الآخر ترجع إلى اعتبار الغيرية أو الإيثار للشخص الآخر أكثر من كونه رغبة أنانية للهروب من الاستثارة المنفردة أو الكريهة، أو الاستهجان الاجتماعي (social disapproval)، أو التخلص من الشعور بالذنب أو الخجل أو الحزن، أو لزيادة الابتهاج البديل. أما الصياغة النظرية الثانية التي تفسر العلاقة السببية بين التعاطف والإيثار فقد ذهب أصحابها إلى أن التعاطف الذي يؤدي للمساعدة يرجع إلى الاندماج بين الذات والآخر. فالتعاطف ينطوي على التوحد بين الذات والآخر بمعنى أن الشخص الآخر الذي يتم التعاطف نحوه يصبح مندمجا أو متمثلا في ذات الشخص الذي يقدم المساعدة. واستند هؤلاء الباحثين إلى النظرية الحديثة التي تشير إلى أن الملامح المهمة للذات يمكن أن تستقر خارج الشخص وداخل الآخرين. كما أن الظروف التي تؤدي بصورة نمطية إلى اهتمام التعاطف لتبني منظور الآخر (كالقرابة والألفة) ربما تجعل الأشخاص يرون جزءاً من أنفسهم في الآخرين. وينشأ هذا الاحتمال على أساس أن المساعدة التي ترتبط بالتعاطف ليست إيثارية ولكنها أنانية ترسخ (عادة بصورة ضمنية) في الرغبة في مساعدة جزء معين من الذات يستقر في الآخر الذي تقدم له المساعدة. وقد أيدت النتائج هذا الافتراض. فالأثر القوي لاهتمام التعاطف على المساعدة كان يستبعد باتساق عندما كان التوحد (مقياس التداخل المدرك بين الذات والآخر) يوضع في الاعتبار. واستخلص الباحثون أن المساعدة التي ترتبط بالتعاطف لا يمكن اعتبارها إيثارية لأنه عندما يزيد التعاطف يزيد معه بصورة مماثلة وجود الذات في الآخر [2].

قد نميل إلى الأخذ بالرأيين معا ولكن حتى لو كان الإيثار بالمعنى الثاني فأن عمل الخير يبقى أفضل من عمل الشر أو الأنانية.

---

[1] د. معتز سيد عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص 100.
[2] المصدر السابق، ص 100- 101.

يمكن القول مما تقدم أن الإيثار يعني: سلوك الفرد أو مجموعة من الأفراد الإرادي التطوعي في تقديم المساعدة إلى الآخرين بدافع غير مصلحي هدفه إسعاد الآخرين). ولكن يبقى السؤال لماذا يقوم بعض الأفراد أو تتميز بعض المجتمعات بشيوع صفة الإيثار أكثر من الأنانية أو بالعكس؟ بمعنى آخر ما هي العوامل والظروف وراء ذلك؟ تتطلب الإجابة على ذلك الانتقال إلى المطلب القادم.

المطلب الثاني

التعليل والتحليل النفسي والاجتماعي لقيمة الإيثار

ومن أجل الوقوف على التحليل النفسي والاجتماعي لقيمة الإيثار فأن هذه الدراسة تفترض أن نمط التنشئة الاجتماعية السياسية بالإضافة إلى عوامل أخرى كالعوامل الاقتصادية الاجتماعية هي المسؤولة عن تبني قيمة الإيثار من عدمه. وعلى صعيد تأثير نمط التنشئة الاجتماعية السياسية على قيمة الإيثار ظهر أن أنساق القيم تتأثر لدى الأبناء بالمعاملة الوالدية [1] ومستوى أسلوب التنشئة الاجتماعية (أدنى, أوسط, أعلى) [2] فقط تبين من نتائج بعض الدراسات في هذا المجال ان قيم السعي للكسب وتحقيق منافع (النفعية), وطلب الكسب المادي السريع (الانتهازية) [3] والحرص على أداء الواجبات وتحمل المسؤولية [4], والفردية والميل للانعزالية تزدهر في ظل المستوى الأعلى للمعاملة الوالدية للآباء والأمهات معاً ويتدنى مستواها في ظل المستوى الأدنى لهذه المعاملة. بينما تزدهر قيمة الاستقلالية [5] في ظل المستوى الأوسط للمعاملة الوالدية ويتدنى مستواها في ظل المستوى الأعلى لهذه المعاملة [6]. وتوصلت بعض هذه الدراسات إلى النتائج الآتية:-

1- أن أساليب معاملة الوالدين اللا سوية التي تتصف بالتشدد والتحكم وفرض التبعية ترتبط بالقيم السلبية والأنانية والضيقة التي تهتم بالكسب وتحقيق الأهداف والمنافع بغض

---

[1] مصطفى محمود عبد الهادي حوامدة, التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها بأنساقهم القيمية: دراسة مقارنة بين الذكور والإناث لدى عينة من طلاب الأردن, دكتوراه فلسفة في دراسات الطفولة من قسم الدراسات النفسية والاجتماعية, 1991, ص 332.

[2] يقصد بالأعلى نمط التنشئة غير السوي الذي يتميز بالتسلط والحماية الزائدة وما إلى ذلك, أما الوسط فهو نمط التنشئة الذي يمثل حالة وسطى في استخدام أساليب التنشئة الذي لا يتضمن التشدد والتزمت أو التهاون والإهمال. ففي ظل هذا المستوى تترعرع القيم الأكثر ايجابية وهو أسلوب مرغوب فيه, أما الأدنى فهو نمط التنشئة الذي يتميز بالإهمال والتذبذب وما إلى ذلك وهو أسلوب غير سوي وغير مرغوب فيه.

[3] تعبر قيمة الانتهازية أو طلب الكسب السريع عن حرص الأفراد على تحقيق مصالحهم الشخصية وإشباع حاجاتهم الآنية دون النظر إلى مدى أخلاقية الوسائل أو مشروعيتها, نقلا عن: المصدر نفسه, ص 336.

[4] تتضمن قيمة الحرص على أداء الواجب وتحمل المسؤولية ميل الأفراد إلى أداء واجباتهم بجدية, مع عدم الالتفات إلى أي علاقات تؤدي إلى أعاقة تادية هذا الواجب وهي بهذا المعنى من القيم الإيجابية الموضوعية, حول ذلك أنظر: المصدر نفسه, ص 331.

[5] تعبر قيمة الاستقلالية في الرأي والتصرف عن امتلاك الفرد لإرادة حره تمكنه من أبداء وجهة نظره قولا وعملاً حول المشكلات التي تحيط به دون ان يتأثر بآراء وضغوطات الآخرين, حول ذلك, راجع: المصدر نفسه, ص 330.

[6] المصدر السابق, ص 323.

النظر عن أخلاقية الوسائل أو تلبيتها للطموحات المستقبلية ارتباطا موجباً. في حين ارتبطت بهذه الأساليب القيم ذات الطبيعة الإيجابية والشمولية وبعيدة النظر والغائية ارتباطا سالباً. بينما أظهرت أساليب التنشئة السوية التي تتسم بالتقبل والتسامح والاستقلالية ارتباطا سالبا مع مجموعة القيم الأولى وموجباً مع مجموعة القيم الثانية. وفي هذا المجال توصلت دراسة عربية إلى أن طبيعة أسلوب التسامح في التنشئة الاجتماعية يفسح مجالاً واسعاً أمام نمو قيم تتسم بالاستقلالية وحرية الإرادة (الاستقلالية في الرأي والتصرف) أو حرية الرأي وتحمل المسؤولية والطموح والتخطيط للمستقبل والحرمان من المتع العاجلة أملاً في متع آجله. في حين أظهرت الدراسة وجود ارتباطات موجبة ودالة بين بعد التشدد في التنشئة الاجتماعية وبين قيم الانتهازية (طلب الكسب السريع)، والنفعية (السعي للكسب وتحقيق المنافع)، والفردية والميل للانعزالية، والحرص على القيام بالواجب وتحمل المسؤولية والقناعة [1]. وتأكيدا على ما تقدم، توصلت دراسة عربية أخرى إلى وجود علاقة دالة موجبة بين بعد التبعية والتحكم في التنشئة وبين قيم الانتهازية (طلب الكسب السريع)، والنفعية (السعي للكسب وتحقيق منافع)، والفردية والميل للانعزالية، والواقعية والنزعة العملية، والحرص على أداء الواجب وتحمل المسؤولية، وعلاقات دالة وسلبية لقيم الاستقلالية، والمثالية الأخلاقية. واتفقت نتائج البحث في ما تقدم من هذه الدراسات في أن القيم الغائية وذات النظرة المستقبلية ظهرت لها علاقات سالبة مع بعد التبعية والتحكم بشكل عام بغض النظر عن أثر الجنس [2].

1- أن هناك علاقة دالة وايجابية بين بعد الاستقلالية والقيم الغائية والتي تتسم بالاستقلالية وحرية الإرادة والمثالية الأخلاقية. وكان هذا البعد أرض خصبة لنمو صاعد لكثير من القيم الهامة المرغوبة في التنشئة الاجتماعية، ولبى حاجات نفسية وعقلية واجتماعية لها اعتبارات هامة مقصودة. في حين لم حين لم تجد أحدى هذه الدراسات العربية التي شملت عينة مصرية وجود ارتباط بين هذا البعد، بعد الاستقلالية، وقيمة تقبل الذات لدى الإناث في معاملة الأمهات [3].

2- ان معاملة الأباء التي تتسم بمنح الاستقلال ذات اثر كبير ايجابي على نمو القيم الايجابية كقيمة الاستقلالية في القول والعمل والقيم الغائية والمثالية الأخلاقية والطموح والتخطيط للمستقبل.

3- لوحظ من نتائج البحث ان القيم التي تترعرع في ظل المستوى الأعلى للمعاملة الوالدية هي القيم التي تتصف بالنفعية، والانتهازية، وتحمل المسؤولية والفردية بينما ترعرعت قيمة الاستقلالية في ظل المستوى الأوسط. ويمكن ان يسترشد بهذه النتيجة في تشجيع قدر متوسط

---

[1] نقلا عن: المصدر نفسه, ص 319-321.
[2] المصدر السابق, ص 319-321.
[3] المصدر نفسه, ص 320.

من المعاملة الوالدية بعيداً عن التشدد والتزمت أو التهاون والإهمال. ففي ظل هذا المستوى تترعرع القيم الأكثر ايجابية [1].

4- ارتبط تقبل الآباء والأمهات بقيمة طلب العلم والمعرفة غاية لذاتها لدى الأبناء الذكور والإناث معاً كما ارتبط بقيمة الحرص على القيام بالواجب وتحمل المسؤولية لدى الذكور في معاملة الآباء ولدى الإناث في معاملة الأمهات.

5- ارتبط بعد الرفض في معاملة الآباء والأمهات بقيمة طلب الكسب السريع (الانتهازية) لدى الذكور والإناث معاً. وتوصلت الدراسة إلى أن المتمعن في هذه العلاقات الارتباطية يجد أن قيمة طلب الكسب السريع (الانتهازية) كانت أكثر انتشاراً من غيرها من القيم حيث أظهرت ارتباطات دالة وموجبه لدى الذكور والإناث وفي معاملة الآباء والأمهات. مما يؤكد أن هذ القيمة تترعرع في ظل أسلوب أو نمط الرفض في التنشئة الاجتماعية أكثر من غيرها من القيم. وبشكل عام يبدو أن نمط الرفض يشجع القيم ذات الطابع الآني والوسيلي ولا يشجع على نمو القيم الغائية ويعمل على إحباطها [2]. أن أسلوب الرفض من الأساليب التي تحبط القيم التي تلبي حاجات الفرد النفسية والعقلية والاجتماعية خاصة وأن كافة القيم التي ترعرعت في ظله تعبر عن أغراض مادية مؤقتة أو وسيلية أو تمثل عزلة اجتماعية وتقوقع حول الذات بينما تحبط في ظله كافة القيم الغائية (غاية في حد ذاتها وليس وسيلية) [3].

6- ارتبط بعد الاستقلالية في معاملة الآباء والأمهات بقيمة القيام بالواجب غاية في ذاته وقيمة الفردية والميل للانعزالية لدى الذكور والإناث معاً. مما تقدم يستنتج ان بعد الاستقلالية في التنشئة الاجتماعية يشجع نمو بعض القيم الغائية والشخصية لدى الذكور والإناث كقيمة القيام بالواجب غاية لذاته والفردية والاستقلالية والمثالية الأخلاقية وطلب العلم والمعرفة غاية لذاتها والقناعة والحرص على القيام بالواجب وتحمل المسؤولية. ويلاحظ ان هذا الأسلوب في التنشئة يعزز قيمتا القيام بالواجب كغاية والفردية بشكل أساسي ويمكن رد ذلك إلى الإرادة الحرة التي يتمتع بها الأبناء في ظل هذا البعد مما يدفعهم إلى تقييم علاقاتهم مع المهام والواجبات بموضوعية وبعد نظر خاصة بالنسبة للقيمة الأولى والتي تتضمن تقييماً موضوعياً للعلاقات والواجبات والوسائل. كما أن محتوى القيمة الثانية الفردية والميل للانعزالية يتضمن نوعاً من الاستقلالية تتمثل بالانفراد في تحمل الفرد للمسؤولية في شؤونه الخاصة. واستقلاله عن الآخرين في عقائدهم وشؤونهم [4]. وترتبط قيمة الاستقلالية فضلا عن أسلوب منح الاستقلالية بأسلوب التسامح في التنشئة [5]. بمعنى ان النمط المتسامح في التنشئة يشجع على الاستقلالية.

---

[1] المصدر نفسه, ص 336.
[2] المصدر السابق, ص 309- 310.
[3] المصدر نفسه, ص 318.
[4] المصدر السابق, ص 311.
[5] المصدر نفسه, ص 316.

7- ظهر أن لبعد إهمال الآباء والأمهات ارتباطا موجبا بقيمة طلب الكسب السريع (الانتهازية) لدى الذكور والإناث, وأظهرت النتائج أن أسلوب الإهمال في التنشئة يعزز القيم ذات الطابع المادي بينما تحبط في ظله القيم الغائية والشخصية ذات الأثر الإيجابي على النفس والعقل [1]. وظهر أيضا أن هناك اتساق بين النتائج حيث ارتبط بعد الإهمال بالقيم الغائية, والمثالية الأخلاقية, والطموح, والتخطيط للمستقبل, ارتباطاً سالباً وبالقيم المادية والنفعي الآنية والوسيلية ارتباطاً موجباً, كما هو الحال في قيم الانتهازية والنفعية والفردية [2]. بمعنى ان نمط التنشئة الذي يقوم على الإهمال يؤدي إلى الأنانية وليس إلى الإيثار.

8- ظهر بشكل عام, أن أسلوب المبالغة في الرعاية غير فاعل في تعزيز علاقات ارتباطية مع النسق القيمي للأبناء لضآلة عدد القيم التي أظهرت ارتباطاً دالاً به وخاصة لدى الذكور كما يعزز علاقات ارتباطية مع مجموعة القيم التي تهتم بالكسب وتحقيق منافع شخصية بغض النظر عن وسائلها وزمنها بينما تحبط في ظل هذا الأسلوب في التنشئة الاجتماعية القيم الغائية والشخصية التي تتعلق بطلب العلم وأداء الواجبات والتخطيط للمستقبل [3]. بعبارة أخرى, أن نمط التنشئة الاجتماعية القائم على أسلوب المبالغة في الرعاية يؤدي إلى الفردية غير الاجتماعية أو الأنانية.

9- ان الأنماط السلبية والإيجابية في تربية الطفل السائدة في المجتمعات العربية تتميز بالإسراف في تدليل الطفل, والإذعان لمطالبه, مهما كانت شاذة أو غريبة, وإصراره على تلبية مطالبه أينما وكيفما يشاء دون مراعاة للظروف الواقعية أو عدم توفر الامكانات أنما يقود إلى عدم تحمل الطفل للمسؤولية, والاعتماد على الغير, وتحمل مواقف الفشل والإحباط في الحياة الخارجية حيث تعود أن تلبى كافة مطالبه, نحو نزعات الأنانية وحب التملك [4]. بكلمات أخرى, يؤدي نمط الإسراف في تدليل الطفل إلى النزعات الأنانية.

10- ان عدم الاتساق [5] في المعاملة كبعد من أبعاد التنشئة الاجتماعية ارتبط بمعظم أبعاد مقياس النسق القيمي في هذا البحث وقد كان الارتباط بينها موجباً كما هو بالنسبة لطلب الكسب السريع (الانتهازية) لدى الذكور والإناث في معاملة الآباء والأمهات. ومن أبرز ما يلاحظ حول هذه العلاقات أن القيم التي تتسم بالغائية والاستقلالية تحبط في ظل عدم الاتساق في المعاملة [6]. وبوجه عام يمكن القول أن نتائج كلا الدراستين الخاصة بعلاقة عدم

---

[1] المصدر السابق, ص 314.
[2] المصدر نفسه, ص 321.
[3] المصدر نفسه, ص 315.
[4] عبد الرحمن العيسوى, مصدر سبق ذكره.
[5] يعني عدم الاتساق التردد الشديد لدى الآباء في معاملة أبنائهم, وقد يكون مرجعه صراع الآباء مع أنفسهم في مجال استخدام أساليب التنشئة السوية التي تتسم بالتقبل والدفء وأساليب التنشئة غير السوية التي تتسم بالتشدد وعدم التقبل, حول ذلك, راجع: مصطفى محمود عبد الهادي حوامدة, مصدر سبق ذكره, ص 329.
[6] المصدر نفسه, ص 315- 316.

الاتساق في المعاملة الوالدية بأنساق قيم الأبناء أظهرت علاقات موجبة مع مجموعة القيم الوسيلية والفردية والنفعية والأنية والواقعية وعلاقات سالبة مع مجموعة القيم الغائية والاستقلالية. وهو ما يعزز ما توصلت إليه الكثير من الدراسات السابقة من أن هذا الأسلوب يحبط مجموعة القيم ذات الطابع الموضوعي والمثالي والطموح [1]. أي أن عدم الاتساق في التنشئة يشجع على التنشئة على قيمة الأنانية.

11- ان نمط التنشئة القائم على أسلوب الضبط من خلال الشعور بالذنب في معاملة الوالدين قد ارتبط ارتباطاً موجباً بقيمة الفردية والميل للانعزالية لدى الذكور والإناث في معاملتي الآباء والأمهات. وتبين هذه النتائج أن أكثر القيم ترعرعاً في ظل بعد الضبط من خلال الشعور بالذنب هي قيم الفردية والميل للانعزالية وقد يعزى ذلك إلى طبيعة الأسلوب الذي يقوم بشكل أساسي على التأنيب الذي يسبب للطفل احباطات تقوده إلى العزلة [2]. ولوحظ أن بعد الضبط من خلال الشعور بالذنب يرتبط ارتباطاً موجباً ودالاً بقيمة الفردية والميل للانعزالية لدى الذكور والإناث وفي معاملتي الآباء والأمهات. وتماثل هذه القيمة قيمة عدم محاولة تعديل آراء الآخرين وسلوكهم في الدراسة المصرية. ولم يظهر لها ارتباط دال مع القيم التي تتسم بالاستقلالية وحرية الإرادة والغائية وهذا يتفق مع الدراسة المصرية [3]. بمعنى آخر أن العينة المصرية أيضا تميل إلى الفردية والعزلة نتيجة نمط التنشئة القائم على الضبط من خلال الشعور بالذنب. يمكن القول بعبارة أخرى ان نمط الضبط من خلال الشعور بالذنب أو التأنيب يعزز من الأنانية أو الفردية والانعزالية.

12- ان أكثر القيم شيوعاً لدى أفراد عينة البحث الذكور والإناث الأردنيين معاً في معاملتي الآباء والأمهات معاً هي طلب الكسب السريع (الانتهازية)، والفردية والميل للانعزالية. ويلي ذلك قيمتا السعي للكسب وتحقيق منافع، والحرص على القيام بالواجب وتحمل المسؤولية. وترى الدراسة ان عدم وجود ارتباطات دالة لقيم القيام بالواجب غاية في ذاته والاستقلالية في الرأي والتصرف، والمثالية الأخلاقية، والطموح والتخطيط للمستقبل وهي قيم فاعلة وذات أهمية عالية في توجيه الأفراد وتنظيم علاقاتهم الاجتماعية وطموحاتهم ونظرتهم المستقبلية يشير إلى ثغرة نوعية في التنشئة الاجتماعية في مجتمع البحث [4]. أي ان التنشئة في المجتمع العربي الأردني تشجع على الإنانية.

13- تركز الكتب المدرسية المقررة على دور الأفراد أكثر منها على دور الجماهير والأفراد والجماعات، ويظهر ذلك جليا عند الكلام عن الحروب، حيث لا تذكر هوية الجماعات المتقاتلة. وعند ذكر الثورات والنضالات العربية ضد الاستعمار يذكر الزعيم أو القائد وكأنه

---

[1] المصدر نفسه, ص 322.
[2] المصدر السابق, ص 316.
[3] المصدر نفسه, ص 321- 323.
[4] المصدر السابق, ص 308.

وحده الذي ثار ووحده الذي قاوم وقاومته القوى الاستعمارية. هذا بالإضافة إلى كتب التربية التي تفرد أبوابا للكلام عن الأخلاق الفردية والصفات الشخصية حتى إلى درجة الأنانية دون التطرق إلى ذكر الجماعة معها والواجبات والحقوق تجاهها [1]. وتأكيدا على ما تقدم في أن نمط التنشئة الاجتماعية السياسية في المجتمعات العربية يقود إلى الأنانية أكثر من الإيثار يرى (هشام شرابي):

"وخلافاً لما يعتقده الكثيرون، فأن نظام العائلة عندنا- على ما فيه من حسنات، كاحترام الكبار وحماية أفراد لعائلة بعضهم بعضا في الملمات- يقوم على التنابذ والخلاف أكثر مما يقوم على التعاون والوئام. ان الغيرة والحسد يسودان علاقات أفراد العائلة أكثر مما تسودها المحبة والتسامح. وهكذا الحال تماماً في علاقات أعضاء المجتمع بعضهم ببعض. أن أولادنا يتعلمون منذ الصغر كيف يجري اغتياب الأصدقاء والأقرباء، وكيف يجهر الإنسان بما لا يضمره ومن أين تؤكل الكتف، وفي تنافسهم على محبة الأم وعطفها يتعلمون بشكل تلقائي كراهية الأشقاء واعتبارهم منافسين ومنافسات يجب التحسب لهم. كذلك فأن الوالدين ينميان روح الغيرة في نفوس أطفالهما وذلك بتصرفاتهما اللا واعية نحوهم. فإذا ميزت الأم، ولو بكلمة واحدة، بين ولد وآخر فأنها قد تسبب عند الواحد أو الآخر نقمة أو شعورا بالنقص يصبح جزءاً من تركيب شخصيته فيؤثر في سلوكه تجاه نفسه وتجاه الآخرين. ان نجاح القريب أو الصديق مدعاة للفرح والاعتزاز. لكنه كثيراً ما يخلق في نفس الفرد شعوراً غامضاً بالقلق والغيرة. والواقع أن من أوائل الأشياء التي يتعلمها الطفل في عائلته هو "نجاح أخي يعني فشلي". وسبب ذلك هو نظامنا العائلي والعشائري والطائفي. أن هذا التضارب بين نزعة فردية سلبية تقوم على مجرد توكيد الذات (وما توكيد الذات هنا إلا تعبير عن عدم الثقة بالذات)، وبين نزعة جماعية سلبية [2] تقوم على التوكل العائلي - العشائري- الطائفي، ان هذا التضارب يشكل المحرك الاجتماعي الأقوى للنزعة السلبية التي تميز علاقاتنا بعضنا ببعض وعلاقاتنا بأنفسنا" [3].

14- لا زالت أنماط التنشئة العربية تشدد على العقاب الجسدي والترهيب، أكثر مما تشدد على الإقناع كما تؤكد على أهمية الضغط الخارجي والتهديد والقمع السلطوي، وتركز على مبدأ الحماية والطاعة والامتثال والخوف من الأخطار الخارجية وتجاوز الحدود المرسومة

---

[1] سعيد عيادي التنشئة السياسية بين المدرسة والبيئة الثقافية: دراسة سوسيولجية في التفكير السياسي لطلاب الأقسام الثانوية النهائية في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1990- 1991، ص 83.

[2] هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص 93.

[3] المصدر نفسه، ص 94.

مما يؤدي إلى النزعة نحو الفردية والأنانية والتأكيد على الذات ونحو الإحساس الشامل بالفردية والاغتراب [1].

15- يؤدي التراكم المستمر من القهر الاجتماعي والسياسي إلى تغذية روح الفردية على حساب المصلحة العامة [2].

16- يؤدي نمط أو أسلوب التنشئة القائم على التفرقة، الذي يتمثل في تعمد عدم المساواة بين الأبناء والتفضيل بينهم بسبب الجنس أو ترتيب المولود أو السن كتفضيل الذكر على الأنثى، أو تمييز الولد الأكبر عن إخوته وأخواته في المأكل والملبس والمصروف، إلى تكوين شخصية أنانية تعودت ان تأخذ دون أن تعطي، تحب أن تستحوذ على كل شيء لنفسها أو على أفضل الأشياء لنفسها حتى لو على حساب الآخرين، شخصية تعرف ما لها ولا تعرف ما عليها. أما بالنسبة للإخوة والأخوات فغالباً ما تتولد لديهم الغيرة الشديدة، والحقد المبطن على الأخ، أو الأخت المميزة، وإلى زيادة العدوانية نحوه [3].

يمكن القول من ما تقدم أن نمط التنشئة الاجتماعية السياسية القائم على التشدد والتحكم وفرض التبعية والرفض والإهمال والمبالغة في الرعاية وبعد الضبط من خلال الشعور بالذنب والتسلط والعقاب البدني والتفرقة على أساس الجنس أو ترتيب المولود أو السن أنما يؤدي إلى التنشئة على القيم الاجتماعية السلبية وتكوين الشخصية التي تهتم بالكسب وتحقيق الأهداف والمنافع بغض النظر عن أخلاقية الوسائل أو تلبيتها للطموحات المستقبلية والنفعية، والانتهازية، وعدم تحمل المسؤولية والفردية والأنانية والحقد المبطن والعدوانية والعكس هو الصحيح. أي أن التنشئة السوية القائمة على أساليب مثل التسامح والتقبل والاستقلالية أنما تشجع على الحرص على القيام بالواجب وتحمل المسؤولية كفاية وقيمة الاستقلالية في القول والعمل والقيم العالية والمثالية الأخلاقية والطموح والتخطيط للمستقبل.

وقد يمكن القول مما تقدم أن الأساس الاجتماعي والنفسي لقيمة الإيثار يمكن أن تفسر على ضوء أنماط التنشئة الاجتماعية السياسية. ويمكن ان يستنتج مما تقدم أيضا ان أفضل مستوى من التنشئة الذي تنمو في ظله القيم الايجابية البناءة هو المستوى الأوسط للمعاملة الوالدية وان المغالاة في المعاملة تقود الأبناء إلى تبني القيم النفعية الآنية والوسيلية دون غيرها. ويمكن القول ان نتائج البحث الحالي قد أظهرت ان القيم الايجابية ذات الطابع الموضوعي والشمولي وبعد النظر تتأثر بنوع المعاملة الوالدية أكثر من تأثرها بمستوى تلك

---

[1] عبد الرحيم صالح عبد الله, الأسرة كعامل تربوي وتعاونها مع المدرسة في تربية الأطفال , الاتحاد العام لنساء العراق, بغداد, 1979, ص 11, نقلا عن: د. علي وطفة, "المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية: بحث في إشكالية القمع التربوي", مجلة عالم الفكر, المجلد (27), العدد (2), أكتوبر-ديسمبر, 1998 ص 267.

[2] د. كمال المنوفي، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين: تحليل نظري ودراسة ميدانية في قرية مصرية، بيروت، دار ابن خلدون، ط1، 1980, ص 278.

[3] د.عمر أحمد همشري, مصدر سبق ذكره, ص 335.

المعاملة, وهي, أي القيم المذكورة, تحتاج إلى نمط من المعاملة تتميز بالتقبل والدفء والاستقلالية بشكل أساسي. على النقيض مما تقدم يؤدي أحيانا بعد التشدد في التنشئة الاجتماعية إلى الحرص على القيام بالواجب وتحمل المسؤولية والقناعة. وقد اتفقت مع هذه النتيجة التي توصلت إليها الدراسة المصرية إلى حد كبير ما توصل إليه البحث الحالي من وجود علاقة دالة موجبة بين بعد التبعية والتحكم في التنشئة وبين قيم الواقعية والنزعة العملية, والحرص على أداء الواجب وتحمل المسؤولية.

أما على صعيد تأثير العوامل الاقتصادية الاجتماعية فقد ظهر أن الأسرة المتوسطة اقتصاديا اجتماعيا تنشأ أبناءها على التعاطف والإيثار أكثر من الأسرة المرتفعة اقتصاديا واجتماعيا. وهو ما يمكن فهمه من خلال سعي هؤلاء الآباء وانشغالهم بالبحث عن المكاسب الشخصية أكثر من انشغالهم بحاجة الآخرين, أو قد لا يتبنى الآباء مثل تلك القيمة وبالتالي تخلو توجيهاتهم للأبناء من مثل تلك السلوكيات [1].

وبقدر ما يتعلق الأمر بتأثير العلاقة بين بعض القيم, يستنتج من بعض الدراسات إلى وجود علاقة تأثير وتأثر متبادلة بين قيمة الاعتراف بالآخر التي تم دراستها آنفا, وقيمة الإيثار [2], كما مره ذكره, فكلما نشأ الفرد على الأنانية أكثر من الإيثار قلت فرص اعترافه بالآخر وقد يكون العكس هو الصحيح أي أنه كلما نشأ الفرد على قيمة الاعتراف بالآخر زاد درجة الغيرية أو الإيثار الاجتماعي لديه.

ما يمكن أن يخلص إليه من كل ما تقدم في هذا المطلب, ظهر أن هناك أسباب عديدة لها دور كبير في تبني قيمة الإيثار من عدمها ولعل من بين هذه الأسباب هو أنماط التنشئة الاجتماعية السياسية التي تتبعها الأسرة وباقي هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية, فكلما اتسمت أنماط التنشئة الاجتماعية بالتسامح والتقبل والاستقلالية من المحتمل جداً أن يزيد ذلك من احتمالات التنشئة على قيمة الإيثار والعكس هو الصحيح, إذ كلما اتسم نمط التنشئة الاجتماعية بأسلوب التحكم والتسلط والضبط عن طريق إثارة الشعور بالذنب وأسلوب العقاب البدني من المحتمل جداً أن يزيد ذلك من التنشئة على قيم الأنانية والانتهازية, فضلا عن ما تقدم ظهر وجود أسباب أخرى كالعوامل الاقتصادية الاجتماعية لها تأثير على قيمة الإيثار وتأثير قيم اجتماعية معينة مثل قيمة الاعتراف بالآخر. وبعد التعريف بقيمة الإيثار والبحث في أسبابها النفسية والاجتماعية فما هو وضعها في المجتمعات العربية؟ تتطلب الإجابة على ذلك الانتقال إلى المطلب القادم.

---

[1] د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره, ص 201.

[2] أحمد صدوق صافي, "الروح الجماعية في المجتمع العربي", مجلة الفيصل, العدد (303), نوفمبر/ديسمبر, 2001, ص 55- 59.

المطلب الثالث

قيمة الإيثار في المجتمعات العربية

ترى دراستنا ان هناك ضعف في قيمة الإيثار في المجتمعات العربية عموما والمجتمع العراقي تحديدا, وشيوع قيمة الأنانية بدل من ذلك. ولعل من بين مظاهر التصرفات السلبية للفرد في المجتمعات العربية والتي تدل على الأنانية وعدم الاهتمام بالمجتمع والمصلحة العامة هو عدم الاهتمام بنظافة الأماكن العامة والمرافق العامة والعمل في القطاع العام. وهناك من يعزو اسباب تخلف المجتمعات العربية عن ركب الحضارة وتأخرها عن مسايرة الدول المتقدمة, وانهزاماتها الداخلية والخارجية, إلى طبيعة الفرد العربي بتفرده وانعزاله عن الجماعة, والإخفاق في تقديم عمل جماعي يخدم الأمة وتتضافر فيه جهود الأفراد في المؤسسات والهيئات, في حين يبرز هذا الفرد العربي وتبرز مواهبه وقدراته في عمل يؤديه بنفسه ولحسابه الخاص! ويعد ذلك, كما يذهب إلى ذلك الرأي نفسه, طبعاً في روح الإنسان العربي كونه يميل إلى الفردية والأنا المتطرفة إلى حد يقترب من نفي الآخرين [1].

ويرى (هشام شرابي): ان الفرد العربي, في تركيبه النفسي وفي السلوك الاجتماعي الذي يصدر عن هذا التركيب, يبدو فريسة اتجاهين متناقضين. فهو, من جهة, مدفوع بنزعة فردية عمياء تجعله يخرج عن المجتمع ويناقضه. وهو من جهة أخرى, مدفوع بنزعة جماعية تجعله عاجزاً عن العيش دون الالتصاق بالجماعة والاعتماد الكلي عليها. والواقع ان كلاً من هاتين النزعتين المتناقضتين تعبر عن بنيان واحد متماسك من العادات والتقاليد. ان النزعة الفردية في مجتمعنا تتميز بطابع سلبي محض بحيث انها تهدف إلى خير الفرد وحده ولا تقيم للكيان الاجتماعي أي اعتبار ويتحرق الفرد في المجتمع العربي لإبراز ذاته على حساب الآخرين ولتحقيق أهدافه على حساب مصلحة المجتمع, وبالنسبة إليه فأن مصالح الآخرين ومشاعرهم امر ثانوي لا يعيره اهتماماً إلا إذا ارتبط بمصالحه وبمشاعره. ان لسان حاله هو: "أنا فوق الجميع". على النقيض من ذلك توصلت دراسة أخرى إلى أن التنشئة الاجتماعية السياسية في المدارس الثانوية, في بعض المجتمعات العربية على الأقل, قد تؤدي إلى تنمية قيمة تحمل المسؤولية والإيثار وقيمة الديمقراطية والعمل الجماعي واحترام الملكية العامة لدى الذكور والإناث على حد سوء [2]. ويُعتقد أنه: "إذا كان لمجتمعنا العربي أن يتجاوز سلبيته وان يتطور نحو حياة إنسانية أفضل فلا بد له من التخلي عن الفردية المسيطرة عليه الآن وتحويلها إلى نزعة ايجابية إذ تحافظ على الفرد ومصلحته وتنقذه من التنازع المميت. وبذلك يتمهد

---

[1] أحمد صدوق صافي, مصدر سبق ذكره, ص 55- 59.
[2] د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره, ص 174- 178.

الطريق لبناء علاقات اجتماعية جديدة تقوم على الأخوة والتعاون في مجتمع ترتبط فيه مصالح الأفراد وأهدافهم بمصالح المجتمع وأهدافه، بكل ما في ذلك من شمول" [1].

ويرى بعض المستشرقين المحدثين شيوع "الفردية" السلبية التي تنفي الاجتماعية التعاقدية والتزاماتها في المجتمع العربي، وهي بذلك تعكس الفرداني الذاتوي، ذلك الذي تحركه المصلحة الذاتية الفاقدة التوازن مع الصالح العام بالمطلق. لا يرى الفرداني الذاتوي في الدوافع والسلوك الصالح العام، إنه لا يحسه، ولا يلمسه إلا كنقيض. وقد يضطر للتعايش معه اضطراراً. حالة التنافر بين المسلك الفردي والنزعة الفردية وبين الحالة الاجتماعية، كمصلحة عامة وكمؤسسات، هي المقصودة بالفردية السلبية. وعلينا أن نسلم بأنها منتشرة إلى حد أننا لا نلاحظها. فنحن ما زلنا نعدّ المواظبة والعمل ضمن مؤسسات، واحترام الحيز العام، وعدم التهرب من دفع الضرائب ظواهر متميزة وغير عادية يستحق صاحبها أن يحمد عليها أو أن يعد ضعيفاً أو مستهبلاً، حسب زاوية النظر [2].

ويُعد التشجيع على العمل الجماعي وتنمية روح الجماعة والإيثار أحد الحلول الرئيسة للتخلص من الفردية [3]. ويفترض تشجيع العمل الجماعي والإثابة عليه للتخلص من الأنانية، ومحاولة التقليل من أهمية الفردية دون إلغاءها، والتخلص من الروح الفردية، التي تتمثل في الأنانية وتضخيم الذات، وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة. عليه يجب تشجيع الألعاب الجماعية. وفي المجال الاجتماعي، فأن العمل التطوعي الجماعي من أفضل الأعمال التي تنمي روح الجماعة وروح الإيثار وتدرب الفرد على الانخراط في خدمة المجموع، دون أن يحقق أي كسب مادي أو شخصي، بل بالعكس فإنه يقدم من وقته وجهده في سبيل إسعاد المجتمع وتخفيف معاناته، مكتفياً بالكسب النفسي والأدبي، والثواب من الله [4]. ومن المشروعات والأفكار التي تحيي روح العمل الجماعي والتكافل الاجتماعي، يمكن أن يُذكر مشروع الصندوق التعاوني داخل العائلة أو العشيرة أو الحي، الذي يشارك فيه أبناؤها كلٌ بما يتيسر له وحسب مقدرته ودخله المادي، لتصرف على المريض منهم وعلى الفقير وذي الحاجة، ومثل ذلك ما ينشأ من صندوق إعانة المرضى على مستوى البلدة، وجمعيات البر والخدمات الاجتماعية التي تنشط في بعض البلدان العربية والإسلامية [5]. وترى دراسة جرت في المجتمع المصري أن الزراعة التعاونية تساعد بمرور الوقت على أضعاف نزعة الفردية ولا سيما أن التعاون كامن في بنية الزراعة النهرية [6]. وتأكيدا على ما تقدم توصلت دراسة جرت في المجتمع السوري إلى أن

---

[1] هشام شرابي، مصدر سبق ذكره، ص 91- 92.
[2] د. عزمي بشارة، الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى، رام الله، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2002، ص 129- 132.
[3] أحمد صدوق صافي، مصدر سبق ذكره، ص 55- 59.
[4] د. معتز سيد عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص 58- 59.
[5] المصدر نفسه، ص 59- 60.
[6] د. كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره، ص 278.

الانخراط في النشاطات الطليعية يساعد في تعليم الناشئة على التعاون والنظام والانضباط وأساليب التكيف والنجاح في البيئة التي يعيشون فيها [1]. فقد كشفت الدراسة عن أن معظم أفراد العينة المنخرطين في النشاطات الطليعية يفضلون أنجاز العمل الجماعي مع رفاقهم [2]. وتوصلت دراسة عربية أخرى إلى أن 63٪ من أفراد عينة الدراسة التي تنتمي إلى أحد منظمات الشبيبة تفضل العمل الجماعي ويفضل 83٪ من عينة أخرى من هذه المنظمات نفسها العمل الجماعي. في حين هبط هذا التفضيل إلى 37٪ لدى عينة أخرى لا ينتمي أعضاءها إلى هذا النوع من المنظمات [3].

يمكن القول مما تقدم أن هناك, بشكل عام, وبالرغم من توافر بعض مظاهر الإيثار في المجتمعات العربية مثل الصندوق التعاوني داخل العائلة أو العشيرة والتعاون في الزراعة والنشاطات الطليعية, ضعف في قيمة الإيثار في المجتمعات العربية, وشيوع بدلا من ذلك قيمة الأنانية كما في تفضيل المصلحة الخاصة على العامة وتفضيل العمل الفردي على الجماعي, وعدم الاهتمام بنظافة الأماكن العامة والتهرب من دفع الضرائب والعمل في مؤسسات الدولة وشيوع ظاهرة التنازع الاجتماعي الشديد مما يترك تأثيراً سلبيا على السلوك الاجتماعي والسياسي وكما سيتضح لنا في المطلب القادم.

المطلب الرابع

الأبعاد السياسية لقيمة الإيثار

أن العلاقات الاجتماعية ما هي في النهاية إلا انعكاس للعلاقات العائلية والعكس بالعكس. وما السلوك الاجتماعي إلا تعبيراً عن الشخصية الاجتماعية المنبثقة من الارتباط الوثيق بين العائلة والمجتمع [4] من هنا ترى دراستنا أن لقيمة الإيثار أبعاداً سياسية أو تأثيرا على السلوك السياسي للفرد والجماعة. أن التأكيد فقط على المصالح الشخصية والتضحية بمصالح الآخرين والمجتمع قد يمكن القول أنه يشيع في المجتمعات العربية وله أبعاده السياسية بالنتيجة أيضا. فالاستعانة بقوة خارجية ضد خصم داخلي وكيفية تعامل بريطانيا ثم الولايات المتحدة الأمريكية مع التناقضات والتنافسات على الزعامة بين الزعامات العربية خير مثال على ذلك [5]. فضلا عن ما تقدم, أشارت دراسة فلسطينية إلى أن الفردية الفردانية أو غير الاجتماعية كانت سببا وراء صراع بعض العائلات والعشائر في تقديم تنازلات لإسرائيل

---

[1] أمل محمد معطي, التنشئة والتحولات الاجتماعية: أنموذج ميداني من منظمة الطلائع في القطر العربي السوري، رسالة ماجستير، شعبة علم الاجتماع، قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1987- 1988, ص 120- 123.

[2] المصدر نفسه, ص 216.

[3] إلهام خوري، دور المقاومة الفلسطينية في التنشئة السياسية: دراسة ميدانية للناشئة الفلسطينيين في القطر العربي السوري، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، جامعة دمشق، 1990, ص 162.

[4] د. هشام شرابي, مصدر سبق ذكره, ص 92.

[5] عزمي بشارة, مصدر سبق ذكره, ص 139.

وبريطانيا من أجل تفضيل مصلحة فردية على حساب المصلحة الوطنية وأن كان ذلك يجري باسم الطائفة والعشيرة والوطن [1]. وأشارت الدراسة نفسها إلى أن إسرائيل عرفت كيف تكسب بعض المكاسب من خلال دراسة الشخصية الفلسطينية التي تتميز بالفردانية التي تغلب المصلحة الفردية على الوطنية أو العامة [2]. كما يؤشر استبعاد الكفاءات عن المناصب التي يستحقونها، وعدم وصول الشخص المناسب إلى المكان المناسب مؤشرا آخر على الفردانية. وستبرز آثارها السياسية السلبية وإن كان في وقت لاحق على الجميع بمن فيهم الشخص الذي يمنع وصول الكفاءات إلى المكان المناسب كما في سقوط الحكومات والدول غير القائمة على الإدارة الكفؤة.

وعلى صعيد آخر هناك علاقة بين قيمة الإيثار والدافع في الانضمام إلى الجماعات الاجتماعية والسياسية على حد سواء. فقد توصلت دراسة مصرية إلى وجود علاقة بين الإيثار والدافعية للانضمام للجماعة [3]، إذ خلصت إلى أمكانية أن تنبئ متغيرات الإيثار فضلا عن الثقة والمساندة الاجتماعية بأبعاد الدافعية للانضمام للجماعة. فمساندة الأصدقاء والثقة العامة تنبئ بالمساندة الانفعالية لدى عينتي الذكور والإناث على حد سواء [4]. من ناحية أخرى تساهم الأنانية في تشخيص المؤسسات العامة لصالح الشخص الأناني وجعل الولاء له بدل الولاء للمؤسسة والدولة:

"فعندما يعمل الفرد الفرداني في مؤسسة فإنه يحول تنظيم التبعية والولاء للفرد إلى شكل التنظيم الأساسي. ويعاد تشكيل المؤسسة بحيث تحترم الإجراءات فقط بغرض تبرير الخطوات، التي يتم ملاءمتها خارجياً للإجراءات، لا غير. وإذا كان الفرد تابعاً وموالياً فإنه يغير ولاءاته تبعاً للهرمية الجديدة وخطوط الولاءات الجديدة. ويصبح الأساس هو ضمان ترتيب وضعه بموجب ما هو مقبول ضمن إعادة التشكيل. لا تناقض إذاً بين الولاء والطاعة والفردية الانتهازية. فهذه قد تتطلب الولاء، كما قد تتطلب إثارة عصبيات جماعية تبدو مناقضة للفردانية، ولكنها في الواقع تصب في خدمتها" [5]

فضلا عن ما تقدم، تؤدي الفردانية إلى استخدام القمع والخداع السياسي، إذ تؤدي الفردانية في النظام السلطوي القمعي إلى استخدام القمع لفرض التراتبية والهرمية. وفي النظام التعددي الأكثر انفتاحاً تؤدي إلى منافسة بين السياسيين على تملق غرور الفردانية بمظاهر الإغواء وإرضاء الأنا بدل الحوار الحقيقي مع الناس حول السياسات والمصالح. هكذا يجد الناس في الساسة ولدى السياسيين تعبيرهم، ولا يجدون مصالحهم. ولا تستطيع السياسة أن تؤثر هنا من دون أن تتأثر أي من دون أن يتحول السياسيون أيضاً إلى نوع من قطيع من

---

[1] المصدر نفسه، ص 134- 139.
[2] المصدر نفسه، ص 139.
[3] د. معتز سيد عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص 121.
[4] المصدر نفسه، ص 124.
[5] عزمي بشارة، مصدر سبق ذكره، ص 133.

المخادعين البهلوانيين والكذابين يتنافس على إرضاء غرور الفردانية بموجب قوالب وكليشيهات وضعتها مسبقاً أدوات الاتصال وفي مقدمتها وسائل الإعلام" [1].

ومن أخطر مخاطر الفردانية أنها تؤدي بالضرورة إلى الكذب، وإلى تشوه ظاهرة الكذب [2] (الذي من المحتمل جداً أن يمتد إلى الكذب السياسي أيضا طالما أن الفرد لا يستطيع ان يغير سلوكه العام بسهولة ويضمنه سلوكه السياسي فالطبع غالبا ما يغلب التطبع).

على صعيد آخر عزى بعض المستشرقين المحدثين عدم قدرة المجتمعات العربية على ملاقاة تحدي الديموقراطية إلى "الفردية" السلبية العربية وعدم القدرة على العمل جماعة التي تعوق، حسب زعمهم، بناء المؤسسات الاجتماعية والالتزام بإجراءاتها وقراراتها [3]. وتوصلت دراسة أخرى إلى ان الميلاد المتعثر للفرد والفردية في المجتمع الأردني، على سبيل المثال، يشكل عائقا تكوينيا إزاء الإسراع في عمليات تشكيل المجتمع المدني، واستقلاليته النسبية إزاء الدولة وأجهزتها المختلفة [4]. وتؤدي التنشئة على النزعة الفردية إلى الولاءات الضيقة كالولاء للعائلة والعشيرة والطائفة بدل نزعة الانتماء إلى الجماعة والوطن [5]. فضلا عن ما تقدم، ترى دارسة أخرى أن شيوع الفردية وضعف العمل الجماعي في المجتمعات العربية كان السبب وراء الانهزامات الداخلية والخارجية والصراعات الداخلية وتقديس الفرد رئيسا أو زعيما أو مفكرا وعدم المشاركة الاجتماعية السياسية نتيجة الإتكالية على الزعماء والرؤساء ورؤساء العوائل وإلى من في السلطة وليس على المشاركة في العمل الجماعي لتحقيق الأهداف المنشودة. ويمكن ان يستنتج من الدراسة نفسها من المحتمل جداً أن يؤدي تقديس الفرد في المجتمعات العربية إلى صعوبة حل المشكلات العالقة وتحقيق المتطلبات الحياتية، وتكوين الحياة الاجتماعية ومنع بروز الصراعات اللا متناهية [6].

ما يمكن ان يخلص إليه من كل تقدم في هذا المطلب، ظهر أن هناك غياب أو ضعف لقيمة الإيثار أدى إلى تفضيل المصلحة الخاصة والأنانية على المصلحة العامة، وإعاقة العمل الجماعي وعدم الانضمام إلى الجماعات الاجتماعية والمشاركة الاجتماعية نتيجة الاتكال على الأفراد بدل المشاركة في العمل الجماعي، الذي يعد من مستلزمات السلوك التشاركي الديمقراطي، فضلا عن ما تقدم ظهر أن غياب أو ضعف قيمة الإيثار شكل عائق أمام المجتمع المدني المعدل أو المراقب للتسلط الحكومي، والاستبداد بسبب تقديس الفرد رئيسا أو زعيما أو مفكرا، وأدى إلى اللجوء إلى استخدام القمع في النظام السلطوي والخداع السياسي في النظام الديمقراطي.

---

[1] المصدر السابق، ص 137.
[2] المصدر نفسه، ص 138- 139
[3] المصدر نفسه، ص 129، 132.
[4] د. مازن أحمد صدقي العقيلي، التنمية السياسية في الأردن: "دراسة في دور المرأة في المشاركة السياسية"، النهضة، المجلد (5) العدد (1)، كانون الثاني/يناير، 2005، ص 39.
[5] هشام شرابي، مصدر سبق ذكره، ص 92.
[6] أحمد صدوق صافي، مصدر سبق ذكره، ص 55- 59.

وعالق إمام الولاء الوطني بقدر ما تحث الأنانية إلى الولاء العائلي والقبلي والمذهبي، وإلى التحالفات مع الأجنبي من اجل السلطة ضد ابن البلد والمعارضين، وسقوط الدول كأحد نتائج عدم وصول الكفاءات، فضلا عن ما تقدم، تقود الفردية إلى الانهزامات الداخلية والخارجية والصراعات الداخلية.

خُلص من كل ما تقدم في هذا المبحث أن الإيثار يعني: سلوك الفرد أو مجموعة من الأفراد الإرادي التطوعي في تقديم المساعدة إلى الآخرين بدافع غير مصلحي هدفه إسعاد الآخرين، وأن هناك أسباب عديدة لها دور كبير في تبني قيمة الإيثار من عدمها ولعل من بين هذه الأسباب هو أنماط التنشئة الاجتماعية السياسية التي تتبعها الأسرة وباقي هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية، فكلما اتسمت أنماط التنشئة الاجتماعية بالتسامح والتقبل والاستقلالية من المحتمل جداً أن يزيد ذلك من احتمالات التنشئة على قيمة الإيثار والعكس هو الصحيح، إذ كلما اتسم نمط التنشئة الاجتماعية بأسلوب التحكم والتسلط والضبط عن طريق إثارة الشعور بالذنب وأسلوب العقاب البدني من المحتمل جداً أن يزيد ذلك من التنشئة على قيم الأنانية والانتهازية، فضلا عن ما تقدم ظهر وجود أسباب أخرى كالعوامل الاقتصادية الاجتماعية لها تأثير على قيمة الإيثار وتأثير قيم اجتماعية معينة مثل قيمة الاعتراف بالآخر وأن هناك، بشكل عام، وبالرغم من توافر بعض مظاهر الإيثار في المجتمعات العربية مثل الصندوق التعاوني داخل العائلة أو العشيرة والتعاون في الزراعة والنشاطات الطليعية، ضعف في قيمة الإيثار في المجتمعات العربية، وشيوع بدلا من ذلك قيمة الأنانية كما في تفضيل المصلحة الخاصة على العامة وتفضيل العمل الفردي على الجماعي، وعدم الاهتمام بنظافة الأماكن العامة والتهرب من دفع الضرائب والعمل في مؤسسات الدولة وشيوع ظاهرة التنازع الاجتماعي الشديد، وأدى بالنتيجة غياب أو ضعف لقيمة الإيثار إلى ترك بعض التأثيرات في السلوك السياسي للأفراد والجماعات والمجتمعات من مثل تفضيل المصلحة الخاصة والأنانية على المصلحة العامة، وإعاقة العمل الجماعي وعدم الانضمام إلى الجماعات الاجتماعية والمشاركة الاجتماعية نتيجة الاتكال على الأفراد بدل المشاركة في العمل الجماعي، الذي يعد من مستلزمات السلوك التشاركي الديمقراطي، وإعاقة تكوين المجتمع المدني المعدل أو المراقب للتسلط الحكومي، والاستبداد بسبب تقديس الفرد رئيسا أو زعيما أو مفكرا، واستخدام القمع في النظام السلطوي والخداع السياسي في النظام الديمقراطي، وإعاقة الولاء الوطني بقدر ما تحث الأنانية إلى الولاء العائلي والقبلي والمذهبي، وإلى التحالفات مع الأجنبي من اجل السلطة ضد ابن البلد والمعارضين، وسقوط الدول كأحد نتائج عدم وصول الكفاءات، والانهزامات الداخلية والخارجية والصراعات الداخلية.

المبحث الثاني

قيمة المساندة الاجتماعية:

يفترض أن يقوم الأفراد فضلا عن هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية بالمساندة الاجتماعية المتبادلة فيما بينها. ذلك أن المجتمع لا يعمل أي جزء من أجزائه بمعزل عن الآخر بل ترتبط أجزاءه في وحدة واحدة فلا بدّ من تكامل المعلومات التي تميز كل جزء من أجزائه. فالنظام المدرسي التربوي لا بدّ له من أن يكون مكملاً للنظام التربوي البيتي أو الأسري. ولا بدّ لأجهزة إعلام المجتمع من أن تساند دور المدرسة والبيت [1]. وأن تقوم الأخيرة وغيرها من هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية بدعم النظام السياسي وأن يقوم الأخير بدعم الأولى. وقد يمكن ملاحظة ازدهار مثل هذا الاعتقاد بين بعض الجماعات والمجتمعات إلى درجة تُشكل معها قيمة اجتماعية بحد ذاتها وقد يحصل العكس أي أن وجود مثل الاعتقاد بين الناس في مجتمع ما ضعيف أو منعدم مما يعني بالنتيجة ضعف أو انعدام وجود مثل هذه القيمة. ولكن قد يتبادر إلى الذهن لماذا تشيع قيمة المساندة الاجتماعية في بعض المجتمعات إلى درجة كبيرة في حين تضعف أو تنعدم في مجتمعات أخرى؟ وهل هناك من أسباب أو عوامل محددة تقف وراء ذلك؟ وهل لهذه القيمة تأثيراً في سلوك الأفراد الاجتماعي السياسي؟ تتطلب دراسة كل ذلك والإجابة على هذه الأسئلة التعريف بهذه القيمة أولا. ثم دراستها في المجتمعات العربية ثانيا. وبعد ذلك البحث والتحليل في أصلها ثالثا، وأخيرا تعقب أبعادها السياسية رابعا.

المطلب الأول

تعريف قيمة المساندة الاجتماعية

تعرف المساندة الاجتماعية على أنها: "الاعتقاد بوجود بعض الأشخاص الذين يمكن للفرد أن يثق فيهم. والذين يتركون لديه انطباعاً بأنهم يحبونه ويقدرونه ويمكنه اللجوء إليهم والاعتماد عليهم. عندما يحتاجهم" [2]. وافترض بعض الباحثين أن للمساندة الاجتماعية مكونات رئيسية عديدة تشمل التعبير عن المشاعر الإيجابية. والتسليم بملاءمة معتقدات الشخص وأفكاره وتفسيراته ومشاعره. وإمداد الشخص المكروب الذي ينتمي إلى شبكة اجتماعية بالمساعدة والمعلومات التي يحتاجها. وافترض أيضا أن الفرد يحتاج إلى مساندة

---

[1] د. أحمد جمال ظاهر، مصدر سبق ذكره.
[2] د. معتز سيد عبد الله, مصدر سبق ذكره, ص 103

الآخرين في الظروف التي يشعر فيها الأفراد بالخوف والشك وفقدان الثقة من أجل الحصول على الاطمئنان والهدوء [1].

ويشمل مفهوم المساندة مكونين أساسيين: الأول: أن يدرك الفرد أنه يوجد عدد كافٍ من الأشخاص في شبكة علاقاته الاجتماعية يمكن الرجوع إليهم والاعتماد عليهم عند الحاجة والثاني: أن يكون لدى الفرد درجة معقولة من الرضا عن المساندة المتاحة له والقناعة بجدواها [2]. وتصنف المساعدة إلى نوعين: يتضمن النوع الأول: المساندة المادية (physical)ويقصد بها المساعدة على أعباء الحياة اليومية. والثاني: المساندة النفسية وتشمل التصديق على الآراء الشخصية وتأكيد صحتها ودعم الثقة بالنفس. وللمساندة الاجتماعية دورين أساسيين في حياة الفرد وعلاقاته الشخصية بالآخرين. الأول: دور إنمائي يتمثل في أن الأفراد الذين لديهم علاقات اجتماعية متبادلة مع الآخرين ويدركون أن هذه العلاقات موضع ثقة يسير ارتقاؤهم في اتجاه السواء ويكونون أفضل في الصحة النفسية من الآخرين الذين يفتقدون لهذه العلاقات. أما الدور الثاني: فهو وقائي ويتمثل في أن المساندة الاجتماعية لها أثر مخفف لنتائج الأحداث الضاغطة (stressful events) فالأشخاص الذين يمرون بأحداث ضاغطة أو مؤلمة تتفاوت استجابتهم لتلك الأحداث (مثلا القلق والاكتئاب) تبعا لوجود مثل هذه العلاقات الودية والمساندة الاجتماعية كماً وكيفاً. وقد أضحى ذلك الدور معروفاً بنموذج الأثر الملطف للمساندة الاجتماعية أو فرض التخفيف وربما يرجع هذا الأثر المخفف إلى ما يحدث من تحسن في أساليب مواجهة الضغوط ومصادرها. وبذلك فإنه يفترض حدوث تفاعل بين الضغوط من ناحية والمساندة الاجتماعية من ناحية أخرى في التأثير على النتائج التي يتوقع حدوثها نتيجة للضغوط [3].

ما يمكن أن يخلص إليه مما تقدم: (أن قيمة المساندة الاجتماعية تدل على الاعتقاد بوجود بعض الأشخاص الذين يمكن للفرد أن يثق فيهم، ويدرك بأنهم يحبونه ويقدرونه ويمكنه اللجوء إليهم والاعتماد عليهم، وقت الحاجة كما في حالات الخوف والشك وفقدان الثقة من أجل الحصول على الاطمئنان والهدوء والدعم المادي والرضا عن هذه المساندة والقناعة بجدواها).

---

[1] المصدر نفسه, ص 103
[2] المصدر نفسه, ص 104.
[3] المصدر السابق, ص 104.

المطلب الثاني

التحليل النفسي والاجتماعي لقيمة المساندة الاجتماعية

قد يمكن إرجاع جذور قوة أو ضعف قيمة المساندة الاجتماعية إلى بعض الأسباب مثل الوسط الجغرافي الاجتماعي والوضع الاقتصادي الاجتماعي ومتطلبات الصراع من أجل الحياة والبقاء والشعور بالأمن والطمأنينة، والحراك الاجتماعي، فضلا عن ما تقدم يفترض إرجاع غياب قيمة المساندة الاجتماعية أحيانا إلى المركزية السياسية الشديدة، وفساد الأداة البيروقراطية، وتفشي الأمية. وقد يفسر ضعف قيمة المساندة الاجتماعية على ضوء نمط التنشئة الاجتماعية التي تعرض لها الفرد أثناء طفولته، وتأثير بعض القيم الاجتماعية مثل قيمة الثقة الاجتماعية.

فعلى صعيد تأثير الوسط الجغرافي الاجتماعي على قيمة المساندة الاجتماعية، توصلت دراسة مصرية إلى أن الوسط الجغرافي الاجتماعي يمكن أن يساعد على تفسير وجود ظاهرة المساندة الاجتماعية على صعيد المجتمع المحلي مجال البحث، فقد توصلت الدراسة إلى أن نهر النيل لعب دورا هاما في خلق وتعزيز ظاهرة التضامن القروي. فقد تعين على أهالي كل قرية أن يتعاونوا من أجل الاستفادة من مياه النهر ومواجهة أخطاره، وبناء الدور إلى جوار بعضها البعض فوق تل ترابي حتى لا يتخللها الرشح، وحتى تكون في مأمن من الفيضان، وبعد التحول من الري الحوضي إلى الري الدائم في القرن التاسع عشر استمر التعاون بين الفلاحين خاصة بحكم الحاجة إلى أقامة كثير من مشروعات الري والصرف. بل لقد استتبع الري الدائم تشعب وكثرة أعباء العمل الزراعي، وأدى هذا، مع ما هو معروف من تخلف أدوات الزراعة، إلى ان أصبح الفلاح أكثر احتياجا إلى مساعدة الآخرين سواء كانوا أبناءه أو أقاربه أو أصحابه. أما على صعيد تأثير الحاجة وراء قيمة المساندة الاجتماعية، تبين أنه على الرغم من انتفاء خطر الفيضان مع التحول إلى الري الدائم، ظلت السكنى المجمعة سائدة في الريف لما توفره من شعور بالأمن والطمأنينة. فكأن النيل أذن قد فرض قدرا يعتد به من الجماعية على حياة القرية وأدى بالفلاح إلى التعلق بوطنه الصغير الذي نشأ فيه وتركزت فيه جهوده [1].

وبقدر ما يتعلق الأمر بتأثير الوضع الاقتصادي الاجتماعي على قيمة المساندة الاجتماعية، ظهر أن قيمة المساندة الاجتماعية تعارف عليها تاريخيا في بعض القرى المصرية، فبالنظر إلى تطور الأوضاع الاقتصادية للريف المصري، وجد ان القرية غالبا ما كانت- وحتى منتصف القرن التاسع عشر مسؤولة ككل عن فلاحة الأرض الواقعة في زمامها ودفع الضرائب المربوطة عليها. فإذا تخلى أحد أفرادها عن زراعة أرضه، الزم باقي الأفراد بزراعتها. وإذا عجز احدهم عن دفع الضريبة تحملها الآخرون. وأدى هذا الوضع إلى يدعم الروابط بين سائر أهل القرية. غير انه مع حصول الحراك الاجتماعي الذي تمثل بالتغيرات الاقتصادية كالاعتراف بالملكية

---

[1] د. كمال المنوفي، مصدر سبق ذكره، ص 146- 147.

الخاصة للأرض الزراعية. لم تعد القرية كوحدة مسؤولة عن فلاحة الأرض وأداء الضريبة فضلا عن وقوع مشاحنات بسبب الري أدت إلى اهتزاز التضامن بين أهل القرية. وأن ظلت حياتهم تصطبغ باللون الاجتماعي التعاوني بصفة عامة. وفي مقابل اهتزاز التضامن القروي. ازداد التضامن العائلي قوة من حيث أضحى الأمن الاقتصادي والاجتماعي للفرد يرتكز على الروابط العائلية [1]. وترى هذه الدراسة المصرية إلى أنه: "على الرغم مما شهدته القرية مجال البحث من تطور أبان الربع قرن المنصرم (الربع الأخير من القرن العشرين) لا تزال الهوة الحضارية بينها وبين المدن كبيرة. الأمر الذي يفسر - جزئيا- استمرار نزوح أبنائها المتعلمين إلى هذه المدن. ومن الجلي أن الحد من حركة النزوح هذه يقتضي مزيدا من النهوض بالقرية تطلعا نحو الوصول بها إلى مستوى الحضر. وفي هذا الشأن. لا يكفي الاعتماد على الحكومة خاصة بالنظر إلى ما تجابهه من ظروف اقتصادية صعبة في الآونة الراهنة. وإنما لا معدى أيضا عن التعاون الحقيقي المخلص من قبل الأهالي" [2]. وترى الدارسة نفسها: "وغني عن البيان ان مثل هذا التعاون رهن بإيمان الغالبية بمبدأ المساعدة الذاتية. وثقتهم في الحكومة. وإحساسهم بالمسؤولية الجماعية. على أن هذه جميعا ليست متوفرة بالشكل الواجب حسبا كشفت عنه الدراسة الميدانية". ويعزى ذلك إلى المركزية السياسية الشديدة. وعدم الثقة التي تكتنف العلاقات المتبادلة بين الأهالي. وفساد الأداة البيروقراطية داخل القرية. وتفشي الأمية [3].

أما فيما يتعلق بتأثير نمط التنشئة الاجتماعية السياسية فقد أظهرت دراسة عربية ان الأسرة العربية لا تنشأ على قيمة المساندة الاجتماعية في مجالات مثل أخذ دور الأب في حالة غيابه وقضية الصرف [4]. بمعنى ان التنشئة في الأسرة لا تشجع على ممارسة قيمة المساندة الاجتماعية في إدارة شؤون البيت. كما لاحظت الدراسة نفسها بصفة عامة أن نسبة ضئيلة من عينة البحث في الدراسة المصرية هي التي استجابت استجابة تعبر عن الاتجاه التعاوني في تحمل مسؤولية الصرف داخل الأسر مجال الدراسة [5] وبغض النظر عن الوضع الطبقي والبيئة الجغرافية والجنس [6]. بمعنى آخر أن عدم التعاون أو المساندة الاجتماعية تُشكل قيمة اجتماعية لدى عينة الدراسة لم يؤثر فيها الوضع الاقتصادي ولا البيئة الجغرافية والجنس.

---

[1] المصدر نفسه, ص 280.
[2] المصدر السابق, ص 147- 148.
[3] المصدر نفسه, ص 147- 148.
[4] د. محمد عماد الدين إسماعيل، د. رشدي قام منصور، د. نجيب اسكندر إبراهيم، التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية، مصر، دار النهضة العربية، ط2، 1974, ص 91. .
[5] المصدر نفسه, ص 258.
[6] المصدر نفسه, ص 61.

اما على صعيد تاثير قيمة الثقة الاجتماعية في قيمة المساندة الاجتماعية, فقد تبين انه كلما ارتفع مستوى الثقة بين الأفراد والجماعات ازداد مستوى المساندة الاجتماعية والعكس هو الصحيح.

يخلص مما تقدم ان تفسير وتعليل وجود أو غياب قيمة المساندة الاجتماعية يمكن يعلل على ضوء بعض العوامل كالوضع الجغرافي الاجتماعي والوضع الاقتصادي الاجتماعي والصراع من أجل الحياة والشعور بالأمن والطمأنينة, والحراك الاجتماعي, والاستبداد الحكومي, وتفشي الأمية, ونمط التنشئة الاجتماعية التي تعرض لها الفرد أثناء طفولته الذي لا يشجع على المساندة الاجتماعية داخل الأسرة وغيرها من هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية, وتاثير بعض القيم الاجتماعية كقيمة الثقة في الناس.

المطلب الثالث

قيمة المساندة الاجتماعية في المجتمعات العربية

تفترض هذه الدراسة أن قيمة المساندة الاجتماعية في المجتمعات العربية بصفة عامة والعراق بصفة خاصة ضعيفة جداً مما يترك آثاراً سلبية على السلوك الاجتماعي والسياسي للفرد والجماعة.

توصلت أحدى الدراسات العربية التي تناولت المجتمع المصري إلى أن الاتجاه إلى التعاوني بين الأب والأم في المجتمعات العربية في تقاسم سلطة التحكم في الصرف يبدو ضعيفاً بوجه عام وبغض النظر عن الاختلاف الطبقي (طبقة وسطى أو دنيا) والجغرافي (ريف أو مدينة) ونوع الجنس (ذكر أو انثى). فقد أشارت هذه الدراسة إلى ان عينة الدراسة من المبحوثين تعطي الرجل حق التحكم في مصروف البيت بدل التعاون بين الرجل والمراة في هذا المجال [1].

وقد اتضح من الدراسة نفسها, على صعيد القيم في مجال توزيع السلطة كقيم توزيع الوظائف والاختصاصات بأنه يفضل أن تقوم أم العريس باختيار العروسة له بدلا من قيام والد العريس بهذه المسؤولية. كما اتضح بأنه لا تظهر أي فروق ذات دلالة بالنسبة لجميع الأبعاد, ومن هنا يمكن النظر إلى القيمة التي ترتبط بهذا التفضيل على أساس كونها من العمومية بحيث يمكن اعتبارها ثقافية عامة أي يشترك الأفراد في داخل الثقافة الحالية

---

[1] وجه السؤال التالي إلى المبحوثين: من في رأيك الذي يكون في يده المصروف من اجل شراء حاجات البيت والعائلة ويقرر شراء أو عدم شراء حاجات البيت؟ وقد خير المبحوثين الخيارات التالية: 1- الرجل فقط 2- الرجل يتخلص من السلطة بمنحها للست 3- الرجل يوزع السلطة بينه وبين الست 4- الأم فقط بحكم مركزها 5- بالتعاون؟ ومن أمثلة الاستجابات للخيار أ: 1- الست اللي يكون في إيدها المصروف لكن أنا اللي أقول ده أشتريه وده ما تشترهوش" 2- الرجل طبعاً لأنه أعقل من الست, وعشان الست ما تتعبش ولا تعرقش وعشان كده بتصرف على كيفها"3- أنا لأن كلام مراتي مفيش فيه فايدة"4- الراجل طبعا..الحرمة تقول ما تشتريش لكن الواحد يخالف الحرمة ويجيب على مزاجه.." . حول ذلك, راجع: د. محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون, مصدر سبق ذكره, ص 140- 153.

اشتراكا لا يؤدي إلى ظهور فروق بالنسبة للبعد الريفي المدني أو البعد الجنس أو البعد الطبقي [1]. بمعنى آخر شيوع قيمة عدم التعاون لدى عينة البحث.

وعلى صعيد آخر وفي سؤال المبحوثين عن رأيهم حول من الذي يحل محل الأب إذ غاب عن البيت لأي سبب [2] ظهر ان نسبة بين صفر ٪ و 3,3٪ تقر بالاتجاه التعاوني وهي نسبة ضعيفة. واتضح أيضا أن 25٪ (من الطبقة الوسطى في المدينة). و 54,5٪ (من الطبقة الدنيا في الريف) يفضلون ان يحل الابن الأكبر على الأم على أحلال غياب الأب. إن الإحلال محل الأب عند غيابه له مغزاه العميق من ناحية التنشئة الاجتماعية فهو يعني في الواقع أن من يحل الأب عند غيابه يعتبر بمثابة بديل الأب ومن يتوقع أن يأخذه دوره وحقوقه ووجباته في المستقبل وأول ما يسترعي الانتباه ان هناك تخصصاً واضحاً فيمن يقوم بهذه المهمة فالاستجابة تعكس تعاون بقية الأفراد في تحمل مسؤولية غياب الوالد والقيام بواجباته كانت منعدمة تقريباً. كما أن التفكير في إحلال البنت الكبيرة محل الأب قد انعدم كذلك تقريباً. وعلى ذلك فان الأسرة الأبوية ينشأ الابن الأكبر وينظر ويتوقع منه أن يكون بديلا للأب في المستقبل وبالتالي ينظر الابن الأكبر لنفسه وتصبح توقعاته هي توقعات الأسرة [3].

ويدل شيوع قيمة المساندة الاجتماعية في المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع العراقي بصفة خاصة. نرى انتشار الفهلوة والغلبة كصفة طاغية بين جميع مختلف شرائح المجتمع. فالعديد من الناس في مواقع صغيرة تتمنى أن تحقق أهدافها حتى ولو على حساب أقرب الناس إليها فماذا ستفعل عندما تكون في مناصب عالية أو في مواقع تسبب فقدانها خسارة كبيرة!؟ لقد طلب شخص عراقي عاش نفسه معاناة العراقيين اللاجئين في عمان في العام 2000 مبلغ من المال مقابل خدمة تتمثل بتسليم فاكس مرسل من منظمة تعنى بالشؤون العراقية (جمعية حقوق الإنسان العراقية) في المهجر في الولايات المتحدة الأمريكية إلى بعض العراقيين اللاجئين المحددة أسماءهم في هذا الفاكس. الغرض منه تعزيز موقف هؤلاء اللاجئين العراقيين في عمان لدى مفوضية الأمم المتحدة في عمان. الأردن. رغم ان وضعه المالي أفضل من غيره من اللاجئين. وعلى المستوى نفسه لوحظ أن معظم من يشتري نسخة من صحيفة الزمان التي كانت تتداول من قبل غالبية اللاجئين العراقيين في عمان أيضا لا يعطيها أو يتذمر من طلبها من زملاءه اللاجئين. فكيف نريد من حاكم سياسي مثل (صدام حسين) إعطاء كرسي الحكم أو سماحه للآخرين في أن يشاركوه فيه في الوقت الذي لا نسمح بإعارة نسخة من صحيفة إلى زميل في المعاناة [4]. وعلى صعيد المجتمع المصري. يلاحظ بصفة عامة أن نسبة ضئيلة من عينة البحث في الدراسة المصرية هي التي استجابت استجابة تعبر عن الاتجاه

---

[1] المصدر السابق, ص 266- 268.

[2] وقد كانت خيارات الاستجابات أ- الابن الأكبر ب- البنت البكر ج- الأم د- بالتعاون. حول ذلك, أنظر: المصدر السابق, ص 282 – 287.

[3] المصدر نفسه, ص 282 – 287.

[4] مخالطة ميدانية للجالية العراقية في عمان, الأردن, 2000.

التعاوني في تحمل مسؤولية الصرف [1]. ولكن على النقيض من ذلك توصلت دراسة مصرية أخرى إلى أن بعض القرى المصرية وفي حقبة تاريخية (في القرن التاسع عشر) معينة شهدت ظاهرة التضامن القروي لمواجهة الأخطار الخارجية كالفيضان وإقامة مشاريع الري والصرف ومساندة العاجز عن زراعة الأرض ودفع الضريبة وتحقيق الشعور بالأمن والطمأنينة [2].

ما يمكن أن يخلص إليه من كل ما تقدم. ووفقاً لتجارب الملاحظة وإشارات بعض الدراسات الميدانية إلى وجود ضعف في قيمة المساندة الاجتماعية في المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع العراقي بصفة خاصة. ولكن ما هو تأثير ضعف هذه القيمة الاجتماعية على السلوك السياسي للأفراد والجماعات؟ تتطلب الإجابة على مثل هذا التساؤل الانتقال إلى المطلب القادم والأخير.

المطلب الرابع

الأبعاد السياسية لقيمة المساندة الاجتماعية

توصلت بعض البحوث المهمة إلى وجود تأثير للمساعدة التي يتلقاها الأفراد من خلال المساندة غير الرسمية التي يحصلون عليها من الأصدقاء والجيران وأفراد الأسرة [3]. وفي هذا المجال ترى دراستنا ان تفكير الإنسان بنفسه فقط دون مساندة بني جنسه وزملاءه وأهله أنما قد يؤدي إلى ضعف المساندة السياسية أو العمل السياسي في وقت الأزمات في مواجهة الحكومة. وفي هذا المجال توصلت دراسة مصرية إلى وجود علاقة بين المساندة الاجتماعية والدافعية للانضمام للجماعة [4]. ذلك أن قيمة المساندة الاجتماعية تؤدي دور أساسي يتمثل بسير ارتقاء الأفراد الذين لديهم علاقات اجتماعية متبادلة مع الآخرين ويدركون أن هذه العلاقات موضع ثقة في اتجاه السواء ويكونون أفضل في الصحة النفسية من الآخرين الذين يفتقدون لهذه العلاقات فضلا عن أنها تؤدي إلى تخفيف ومواجهة الضغوط ومصادرها [5] كما في مواجهة ضغوط الحكومة. وبقدر ما يتعلق الأمر بالواقع الاجتماعي السياسي العراقي. على سبيل المثال. يمكن القول أن ضعف قيمة المساندة الاجتماعية بين العراقيين على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم وضمن العرق الواحد والمذهب الواحد وتوجهاتهم السياسية جعلتهم ضعفاء جداً في مواجهة شؤون الحياة المختلفة بما فيها ضعف المساندة السياسية مما جعلتهم ضعفاء أمام الحكومة ومن في حكمها في تحقيق متطلباتهم الأساسية. وقد وصل الأمر في مراحل معينة إلى غياب كامل في المساندة الاجتماعية واللجوء بدل من ذلك إلى الاحتراب الاجتماعي السياسي

---

[1] المصدر نفسه, ص 61, 258.
[2] د. كمال المنوفي, مصدر سبق ذكره, ص 146- 147.
[3] د. معتز سيد عبد الله, مصدر سبق ذكره, ص 103
[4] المصدر نفسه, ص 123.
[5] المصدر نفسه, ص 104.

بين شرائح المجتمع العراقي وضمن الشريحة الواحدة في أحيان أخرى إلى درجة العنف السياسي المقيت.

ما يخلص إليه من كل ما تقدم في هذا المطلب، أن لقيمة المساندة الاجتماعية أبعاداً سياسية أو تأثيرا على السلوك السياسي للأفراد والجماعات، وأنها اثرت على السلوك السياسي للفرد والجماعات العربية بصفة عامة والعراقية بصفة خاصة بحيث اتصف بأنه سلوك غير تعاوني لا يستطيع ان يجابه الحكومة أو يدفعها لتحقيق المطالب الشعبية.

ما يمكن أن يخلص إليه من كل ما تقدم في هذا المبحث إلى أن قيمة المساندة الاجتماعية تدل على الاعتقاد بوجود بعض الأشخاص الذين يمكن للفرد أن يثق فيهم، ويدرك بأنهم يحبونه ويقدرونه ويمكنه اللجوء إليهم والاعتماد عليهم، وقت الحاجة كما في حالات الخوف والشك وفقدان الثقة من أجل الحصول على الاطمئنان والهدوء والدعم المادي والرضا عن هذه المساندة والقناعة بجدواها، ويمكن أن يفسر ويعلل وجود أو غياب قيمة المساندة الاجتماعية على ضوء شيوع أو غياب بعض القيم الاجتماعية كقيمتي الأنانية والثقة في الناس وتأثير بعض العوامل كالوضع الجغرافي الاجتماعي والوضع الاقتصادي الاجتماعي والصراع من أجل الحياة والشعور بالأمن والطمأنينة، والحراك الاجتماعي، والاستبداد الحكومي، وتفشي الأمية، ونمط التنشئة الاجتماعية التي تعرض لها الفرد أثناء طفولته الذي لا يشجع على المساندة الاجتماعية داخل الأسرة وغيرها من هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية، وضعف في قيمة المساندة الاجتماعية في المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع العراقي بصفة خاصة، وأن لقيمة المساندة الاجتماعية أبعاداً سياسية أو تأثيرا على السلوك السياسي للأفراد والجماعات، كما في تأثيرها في السلوك السياسي للفرد والجماعات العربية بصفة عامة والعراقية بصفة خاصة الذي اتصف بكونه سلوك غير تعاوني لا يستطيع ان يجابه الحكومة أو يدفعها لتحقيق المطالب الشعبية.

ما يمكن أن يُخلص إليه من كل ما تقدم في هذا الفصل: أن هناك أسباب عديدة لها دور كبير في تبني قيمة الإيثار من عدمها ولعل من بين هذه الأسباب هو أنماط التنشئة الاجتماعية السياسية التي تتبعها الأسرة وباقي هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية، فكلما اتسمت أنماط التنشئة الاجتماعية بالتسامح والتقبل والاستقلالية من المحتمل جداً أن يزيد ذلك من احتمالات التنشئة على قيمة الإيثار والعكس هو الصحيح، إذ كلما اتسم نمط التنشئة الاجتماعية بأسلوب التحكم والتسلط والضبط عن طريق إثارة الشعور بالذنب وأسلوب العقاب البدني من المحتمل جداً أن يزيد ذلك من التنشئة على قيم الأنانية والانتهازية، فضلا عن ما تقدم ظهر وجود أسباب أخرى كالعوامل الاقتصادية الاجتماعية لها تأثير على قيمة الإيثار وتأثير قيم اجتماعية معينة مثل قيمة الاعتراف بالآخر وأن هناك، بشكل عام، وبالرغم من توافر بعض مظاهر الإيثار في المجتمعات العربية مثل الصندوق التعاوني داخل العائلة أو العشيرة والتعاون في الزراعة والنشاطات الطليعية، ضعف في قيمة

الإيثار في المجتمعات العربية، وشيوع بدلا من ذلك قيمة الأنانية كما في تفضيل المصلحة الخاصة على العامة وتفضيل العمل الفردي على الجماعي، وعدم الاهتمام بنظافة الأماكن العامة والتهرب من دفع الضرائب والعمل في مؤسسات الدولة وشيوع ظاهرة التنازع الاجتماعي الشديد، وأدى بالنتيجة غياب أو ضعف لقيمة الإيثار إلى ترك بعض التأثيرات في السلوك السياسي للأفراد والجماعات والمجتمعات من مثل تفضيل المصلحة الخاصة والأنانية على المصلحة العامة، وإعاقة العمل الجماعي وعدم الانضمام إلى الجماعات الاجتماعية والمشاركة الاجتماعية نتيجة الاتكال على الأفراد بدل المشاركة في العمل الجماعي، الذي يعد من مستلزمات السلوك التشاركي الديمقراطي، وإعاقة تكوين المجتمع المدني المعدل أو المراقب للتسلط الحكومي، والاستبداد بسبب تقديس الفرد رئيسا أو زعيما أو مفكرا، واستخدام القمع في النظام السلطوي والخداع السياسي في النظام الديمقراطي، وإعاقة الولاء الوطني بقدر ما تحث الأنانية إلى الولاء العائلي والقبلي والمذهبي، وإلى التحالفات مع الأجنبي من اجل السلطة ضد ابن البلد والمعارضين، وسقوط الدول كأحد نتائج عدم وصول الكفاءات، والانهزامات الداخلية والخارجية والصراعات الداخلية.

وما يمكن أن يخلص إليه أيضا من كل ما تقدم في هذا الفصل: يمكن أن يفسر ويعلل وجود أو غياب أو ضعف قيمة المساندة الاجتماعية على ضوء شيوع أو غياب بعض القيم الاجتماعية كقيمتي الأنانية والثقة في الناس وتأثير بعض العوامل كالوضع الجغرافي الاجتماعي والوضع الاقتصادي الاجتماعي والصراع من أجل الحياة والشعور بالأمن والطمأنينة، والحراك الاجتماعي، والاستبداد الحكومي، وتفشي الأمية، ونمط التنشئة الاجتماعية التي تعرض لها الفرد أثناء طفولته الذي لا يشجع على المساندة الاجتماعية داخل الأسرة وغيرها من هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية، وضعف في قيمة المساندة الاجتماعية في المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع العراقي بصفة خاصة، وان لقيمة المساندة الاجتماعية أبعاداً سياسية أو تأثيرا على السلوك السياسي للأفراد والجماعات، كما في تأثيرها في السلوك السياسي للفرد والجماعات العربية بصفة عامة والعراقية بصفة خاصة الذي أتصف بكونه سلوك غير تعاوني لا يستطيع ان يجابه الحكومة أو يدفعها لتحقيق المطالب الشعبية.